

روءي الإمام الخميني (ره) في الحج الإبراهيمي

تأليف: مجّمد مجّمدي ريّ شهري
وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝١ .
قد جري الحديث مراراً عن الحج الإبراهيمي في الخطب التي تلقي والمقابلات التي تجري بخصوص الحج، ولكن قلما وضع تحديد دقيق لهذا الحج، وأجيب علي السؤال التالي:
ما هو الحجُّ الإبراهيمي؟

وما اختلافه عن الحج غير الإبراهيمي؟
إذاً، فما أنسب أن يكون هذا الموضوع المهم محور حديثنا في ندوة الحج هذه التي تقعد في جوار مزار إمامنا العزيز، فكل مالدي الشعب وكل ما حقته له الثورة الإسلامية هو من بركات هذا الوجود الطاهر.
وبالطبع فأنني لا اعتقد بأن هذا البحث الواسع سأتممه في هذه الكلمة، لكنني أرجوا أن أتحدث عنه بشكل مستفيض في مناسبات أخرى.
ما هو الحجُّ الإبراهيمي؟

الحج الإبراهيمي: هو الحج الذي شرّعه الله تبارك وتعالى، وأمر بأن يوءذن به إبراهيم الخليل (عليه السلام) وَاذَّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ. . . .
وقد جدد رسول الله (صلي الله عليه وآله وسلم) في عصره روح الحياة في هذا الحج، غير أنه لم تمر مدة قصيرة علي وفاته (صلي الله عليه وآله وسلم) حتي طواه النسيان - وللأسف -، ولم يستطع مسلمو الصدر الأول أن يواصلوه في المجتمع الإسلامي، حتي جدده بعد مضي أربعة عشر قرناً في مجتمعنا الإيراني رجل من السلالة الطيبة لإبراهيم (عليه السلام) ومحمد (صلي الله عليه وآله وسلم)، وإننا نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأداء الحج بالشكل الذي رسم لنا معالمه الإمام العزيز.
عبر الامام عن الحج الحقيقي بالحج الإبراهيمي تارة وبالحج الإبراهيمي - المحمدي تارة أخرى، في قابل الحج غير الإبراهيمي.

وانسب ما يمكن أن نصف به هذا النوع الثاني من الحج في هذه البرهة من تاريخ الإسلام هو الحج الأمريكي، ذلك أن أنصار الإسلام الأمريكي هم الذين يحثون عليه، إذ لا يتضمن إلا شكلاً ظاهرياً للمناسك، دون أن ينطوي علي محتوى مفيد، بل إنه يضر الإسلام والمجتمع الاسلامي لانه يوجه في خدمة أهداف أعداء الإسلام وأعداء الحج الإبراهيمي.
يعتقد الإمام الراحل أن الحج الابراهيمي يختلف جذرياً عن الحج الامريكي، من الناحية الفلسفية ومن ناحية المحتوي، ومن ناحية الحجاج والقائمين علي أمور الحج أيضاً.
فما هي فلسفة الحج عند الإمام؟ وماذا يجب أن يكون عليه محتوي الحج؟ وكيف يجب أن يكون عليه تفكير القائمين علي شؤون الحج وسلوكهم العملي؟ وكيف يجب أن يعمل الحجاج بيت الله الحرام لو أرادوا أداء الحج بصورته الحقيقية الإبراهيمية؟

ي كان يصدرها

في هذه المناسبة، سأبينها لحضراتكم، وأوصي جميع الحجاج، ولا سيما الاخوة علماء الدين بمطالعة نداءات الإمام وبياناته بهذا الخصوص والتي طبعت في مجلدين.
فلسفة الحج الامريكي:

تتلخص فلسفة الحج الامريكي في كونه زيارة ترفيهية سياحية ليس الآ، وعلي حدّ تعبير الإمام فان الحج الامريكي لا يخرج عن كونه سفراً ترفيهياً لمشاهدة القبلة والمدينة وتكرار سلسلة من الألفاظ المفرغة من معناها، وأداء سلسلة من الحركات الخالية من المضمون، والحاج لا يعلم لم يطوف حول الكعبة، ولم يسعي بين الصفا والمروة؟

لا يعني لِمَ يُحْرَمُ؟ وما هي فلسفة رمي الجمرات وتقديم الأضحية؟
وليست هناك أية علاقة بين الحج الأمريكي وبين البحث عن جواب للأسئلة: ((كيف تكون الحياة، وما هي طريقة الجهاد، وكيف يمكن الوقوف بوجه العالم الرأسمالي؟))^٢.
ولا علاقة - في منظار الحج الأمريكي - بين الحج وبين كيفية استيفاء مسلمي العالم ومحرومية لحقوقهم وسحبها من الظالمين والقراصنة^٣.
ولا علاقة بين الحج وبين وجوب أن يطرح المسلمون في العالم كقوة عظيمة^٤.
ولا علاقة بين الحج وبين طريقة تعامل المسلمين مع الأنظمة العملية^٥.
هذا هو تفسير الإمام للحج الأمريكي.
كما أنه لا علاقة بين الحج الأمريكي وبين أن يتابع الحاج معاناة المسلمين الفلسطينيين علي يد الكيان الغاصب للقدس.
ولا علاقة بين الحج الأمريكي وبين أهم قضية يشهدها العالم الإسلامي حاضراً في التحركات المشبوهة لقادة الدول الإسلامية الرامية إلي إقامة العلاقات مع الكيان المحتل للقدس وتسويغ ما تسمي بمؤتمرات السلام.
حيث يتعرض المسلمون الفلسطينيون واللبنانيون هذه الأيام لأشدّ الضغوط.
وأيضاً لا علاقة بين الحج وبين ما يعانيه المسلمون والمحرومون في أفريقيا وأفغانستان .
هذا هو الحج الأمريكي.
فلسفة الحج الإبراهيمي:

بين الإمام العزيز فلسفة الحج الإبراهيمي بشكل جميل جذاب، وهذه مقتبسات من عبارات هذا الرجل الجليل في تبين فلسفة الحج الإبراهيمي: فالحج من وجهة نظر الإمام ((تجلّ وتكرار لجميع مشاهد إبداع الحب في حياة الإنسان والجمع المتكامل في الدنيا))^٦. وهذه أجمع جملة وأفضل تعبير يمكن أن نوضح فيه فلسفة الحج الإبراهيمي، ذلك أن الحج هو تجل لكل مشهد من مشاهد هذا الإبداع، تجل للجهاد والايثار والتضحية والشجاعة والشهامة والوحدة والذكر والارتباط بالله ولقاء الله و . . .
والهدف من الحج بنظر الإمام هو اقتراب الانسان من صاحب البيت والاتصال به، وليس الحج مجرد حركات وأعمال وألفاظ. . . وليس مجرد النظر إلي بعض الاحجار ومشاهدة البيت. دققوا في عبارات الإمام حينما يقول: ((إن فلسفة الحج هي رؤية صاحب البيت، ولا بد من أن توجه الحركات والأعمال التي تؤدي هناك في هذا السبيل)). .

قومياتها أن

تصبح إبراهيمية لتلتحق بركب أمة محمد (صلي الله عليه وآله وسلم) وتكون واحدة وبدأً واحدة))^٧.
فالحج تنظيم وتمرين وبلورة للحياة التوحيدية.
يري الإمام أن ((الحج يمثل مركز المعارف والإلهية الذي ينبغي أن يؤخذ منه محتوى السياسة الإسلامية في جميع الأبعاد الحياتية)). لهذا يمكن أن تستخرج سياسة الإسلام بجميع أبعادها من الحج كما يقول الامام.
ولقائد الثورة العزيز الذي يواصل بحق نهج الإمام قولاً مماثلاً في حُكمه لي إذ يقول: ((إنّ فريضة حج بيت الله هي من جملة الفرائض النادرة التي ادرجت فيها أبعاد متعددة ومتنوعة ترتبط بالحياة الفردية والسلوك الجمعي بشكل عظيم وذات تأثير عميق في الجسم والنفس الفكر وفي السلوك الأدمي، وتعبه، لو أداها بالشكل الصحيح، توفيقات كبيرة في جميع الميادين المادية والمعنوية)). .

ومن مهمّات فلسفة الحج أيضاً في روءي الإمام بعده السياسي، حيث يقول: ((البعد السياسي للحج لا يقل أهمية عن بعده العبادي، ففي البعد السياسي عبادة فضلاً عن الجانب السياسي))^٨.

إن من فلسفة الحج أن يلبي صرخات الظلامنة المنطقية من فلسطين وأفريقيا وأفغانستان، بل يستجيب لكل المظلومين والمستضعفين في العالم، لأن الحج ((قيام)) : جَعَلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناس. . . ٩.

و- ((البيت الذي أسس للقيام، وهذا القيام للناس لا بُدّ من الاجتماع فيه لهذا الهدف الكبير، وتعيين منافع الناس في تلك المواقف الشريفة))^{١٠}. هذا هو تقييم الإمام ونظرته إلي الحج، وليست منافع الناس أن يذهبوا هناك ويجلبوا البضائع، ويتاعوا السلع الأمريكية التي حرمها الإمام، وفي توضيحه للآية الكريمة: ليشهدوا منافع لهم التي يبين فيها القرآن فلسفة الحج، يقول الإمام:

((أي نفع أعلي وأسمي من أن تقطع أيدي جبابرة العالم والجائرين من التسلط علي البلدان المظلومة، وتصبح ثرواتها العظيمة بأيدي أبنائها))^{١١}.

أجل، هذا هو النفع الأكبر، وعلي حجاج بيت الله أن يأخذوا العبر من هذه الآية في معرفة فلسفة الحج.

ويقول الإمام عن الآية: وَ طَهَّرَبَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ١٢: ليس المقصود التطهير من النجاسات الظاهرية وحسب، فبيت الله يجب أن يطهر ليس فقط من النجاسات الظاهرية، وإنما من الأرجاس المعنوية أيضاً التي يفوق ضررها وخطرها علي المجتمع ضرر وخطر أي شيء آخر. الحج الابراهيمي هو ذلك الحج الذي يقام لتطهير بيت الله من النجاسات الظاهرية والباطنية، يقول الامام: ((المراد التطهير من جميع الأرجاس، وعلي رأسها الشرك، الأمر الذي بينه صدر الآية الكريمة))^{١٣}. وَأَذْبَوْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْتِي. . . .

ويري الإمام أن من أهداف الحج ((إيجاد التفاهم وتعزيز أواصر الوحدة الاسلامية)) : ((من مهمات فلسفة الحج إيجاد التفاهم، وتعزيز الاخوة بين المسلمين، وعلي العلماء والخطباء طرح المسائل الأساسية والسياسية والاجتماعية مع إختوهم في الدين وتهئية مشاريع لحلها، ليطرحوها بدورهم علي العلماء وأصحاب الرأي لدي عودتهم إلي بلدانهم)).

لكنّ المفكرين

والخائضين غمراته والمتحسسين لآلام الأمة الإسلامية لو خاضوا لحج معارفه ولم يخشوا الاقتراب منه والغوص في أحكامه وسياساته الاجتماعية لاصطادوا من صدف هذا البحر كمية أعظم، من جواهر الهداية والرشد والحكمة والانعناق، ولارتووا وإلي الأبد من زلال حكمته ومعرفته)^{١٤}. صلي الله علي روحك وبدنك يا إمام، فهل هناك أجمل واشمل وأدق من هذه العبارات عن فلسفة الحج؟

يضيف الإمام: ((ولكن ما العمل؟ وإلام تشكو هذا الغم الكبير؟ فقد أصبح الحج كما القرآن مهجوراً)).

((ليس حجاً هو الحج الخالي من الروح والحركة والقيام والبراءة والوحدة، والحج العاجز عن هدم صروح الكفر والشرك)).

أيها الأعزاء، يمكنكم أن تزيلوا هذا الغم عن روح الإمام الطاهرة، صحيح أنّه رحل عنا، بيد أن رسالته تثقل كواهلنا فرداً فرداً.

وقد لخص الإمام الباقر (عليه السلام) جدّ إمامنا هذا الكلام في عبارة واحدة وقال: في تلك الأيام العصبية التي كلكل فيها ظل السلطة الجائرة علي العالم الإسلامي: ((إنما امر

الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم، ويعرضوا علينا (نصرهم) ١٥.

يريد الإمام الباقر (عليه السلام) أن يبين لنا من خلال استعماله لتعبير الأحجار أن الحج مجرد من الفلسفة الإبراهيمية للحج لا يعدو كونه طوافاً بالأحجار.

يقول الإمام الخميني: ((التكليف الإلهي للحجاج في هذه البرهة الزمنية أن ينكروا كل موضوع يشتم منه رائحة الاختلاف والوقية بين صفوف المسلمين. ويعتبروا البراءة من الكفار وقادتهم واجباً من واجباتهم في المواقف الكريمة، ليكون حجهم حجاً إبراهيمياً وحجاً محمدياً، وإلا سيصدق عليهم القول المعروف: ما أكثر الضحيج، وأقل الحجيج!)) ١٦.

كان هذا جانباً من رؤي إمام الأمة وهو يتناول القضايا التي تخص فلسفة الحج وأسس الحج الإبراهيمي، وعلي قاعدة هذه الفلسفة والأسس يختلف محتوى الحج بدوره، كما يختلف الحجاج والقائمون علي شؤون الحج.

وقبل أن أختتم هذا الحديث، أتطرق باختصار إلي محتوى الحج الذي يختلف في الحج الإبراهيمي عن غير الإبراهيمي في كل مناسكه من التلبية إلي الرمي، إذ يري الامام أن كل أعمال الحج وحركاته وسكناته تنطوي علي محتوى حيوي تربوي محرك خاص، وحينما يقول الحاج: ((لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. .)) لا يكون قوله صادقاً وحقيقياً إلا حينما يصغي من أعماقه لنداء الحق ويستجيب لدعوة الله تعالى.

فالمسألة هنا مسألة الحضور في المحضر، ولا يستطيع أن يقول لبيك إلا من يحس بهذا الحضور، فإنكم وأنتم في غرفة مغلقة الأبواب لا يوجد فيها غيركم لا تقولون ((نعم))، إنما تتفوهون بهذه الكلمة حينما يوجد من يناديكم، فتشهدون وتسمعون صوته ودعوته، فالمسألة هي مسألة الحضور في المحضر ومشاهدة جمال المحبوب، وكأن الملبى في هذا المحضر قد خرج عن حالته الطبيعية. وتخلي عن ذاته.

إلهي، هل لنا أن ندرك ولو للحظة واحدة المعني الحقيقي للحج والمعني الحقيقي للإحرام ومفهوم التلبية؟

رج عن وضعه

الطبيعي ويكرر التلبية ثم ينزهه عن الشريك بالمعني المطلق، أي: اللهم إني لا أشرك بك مطلقاً، وأبرأ من كل الطواغيت الكبار والصغار، ولا استجيب الا لك، كما قال الامام الصادق عليه السلام في الحديث المروي عنه:

((وأحرم عن كل شيء يمنعك من ذكر الله، ويحجبك عن طاعته. كل ما اشغلك عن الله هو صنمك)).

أحرم عن كل ما يبعدك عن محضر الله، ويجعلك غافلاً عن ذكره، ويحجبك عن طاعته، وحرمة علي نفسك، وحينما تلبى ((لب ١٧ تلبيةً صادقة، خالصة، زاكية لله - عز وجل - في دعوتك متمسكاً بالعروة الوثقى)). وحينما تتمسك بالعروة الولاية الوثقى - وهي الوجهة السياسية الأساسية للحج. قل ((لبيك)) بإخلاص وصدق، وقل: اللهم أتيت لأقول لك ((لبيك)) ولغيرك ((لا)).

اللهم أفيءنا من الحج كما يفهمه أولياؤك وينتفعون منه.

اللهم وفقنا لأداء الحج كما جسده لنا الامام العزيز الذي نقف الآن في محضره وتشهدنا وتحيطنا بروحه الطاهرة.

اللهم صل ثورتنا بثورة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) العالمية، وسدد قائد الثورة آية الله الخامنئي واكتب له النصر المبين.

الهوامش:

(١) ابراهيم: ٣٥.

- (٢) بيام استقامت (نداء الاستقامة) : ٧.
- (٣) ((ما للحج ولأخذ حقوق المسلمين والمحرومين من الظالمين)) . بيام استقامت: ٧.
- (٤) ((ما للحج واستعراض المسلمين لانفسهم كقوة عظمي تمثل القوة الثالثة في العالم)) . بيام استقامت: ٧.
- (٥) ((ما للحج وثورة المسلمين ضد الانظمة العميلة)) . بيام استقامت: ٧.
- (٦) بيام استقامت: ٨.
- (٧) نفس المصدر.
- (٨) صحيفه نور ١٨:٦٧.
- (٩) المائدة: ٩٧.
- (١٠) صحيفه نور: ٤٣: ١٩.
- (١١) صحيفه نور: ٤٣: ١٩.
- (١٢) الحج: ٢٦.
- (١٣) صحيفه نور: ٨٧: ١٨.
- (١٤) بيام استقامت: ٨.
- (١٥) بحار الأنوار ٣٧٤: ٩٩ (ط. بيروت) .
- (١٦) صحيفه نور: ٤٦: ١٩.
- (١٧) بمعني أجب.